

عن ابن جبير (١١٤٤-١٢١٧) : الرحلة

ذكر المدينة التي هي حضرة صقلية أعادها الله هي بهذه الجزائر أم الحضارة والجامعة بين الحسين غضارة فما شئت بها من جمال مخبر ومنظر ومراد عيش يانع أخضر عتيقة أنيقة مشرقة مونقة تتطلع بمراى فتان وتتخايل بين ساحات وبسائط كلها بستان فسيحة السكك والشوارع تروق الأبصار بحسن منظرها البارع عجيبة الشأن قرطبية البنيان مبانيها كلها بمنحوت الحجر المعروف بالكذان يشقها نهر معين ويطردها في جنباتها أربع عيون قد زخرت فيها ملكها دنياه فاتخذها حضرة ملكه الإفرنجي أباده الله تنتظم بلبتها قصوره انتظام العقود في نحو الكواعب ويتقلب من بساينها وميادينها بين نزهة وملاعب فكم له فيها لا عمرت به مقاصير ومصانع ومناظر ومطالع وكم له بجهاتها من ديارات قد زخرت بناياتها ورفه بالإقطاعات الواسعة رهبانها وكنائس قد صيغ من الذهب والفضة صلبانها وعسى الله عن قريب أن يصلح لهذه الجزيرة الزمان فيعيدها دار إيمان وينقلها من الخوف للأمان بعزته إنه على ما يشاء قدير وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الإيمان يعمرون أكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة بأذان مسموع ولهم أرباض قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى والأسواق معمورة بهم وهم التجار فيها ولا جمعة لهم بسبب المحظورة عليهم ويصلون الأعياد بخطبة دعاؤهم فيها للعباسي ولهم بها قاض يرتفعون إليه في أحكامهم وجامع يجتمعون للصلاة فيه ويحتفلون في وقيدته في هذا الشهر المبارك وأما المساجد فكثيرة لا تحصى وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن وبالجملة فهم عزباء عن إخوانهم المسلمين تحت ذمة الكفار ولا أمن لهم في أموالهم ولا في حريمهم ولا أبنائهم تلافاهم الله بصنع جميل منه ومن جملة شبه هذه المدينة بقرطبة والشيء قد تشبهه بالشيء من إحدى جهاته أن لها مدينة قديمة تعرف بالقصر القديم هي في وسط المدينة الحديثة وعلى هذا المثال موضوع قرطبة حرسها الله وبهذا القصر القديم ديار كأنها القصور المشيدة لها مناظر في الجو مطلة تحار الأبصار في حسنها